

وحدة المصير 3

على الصعيد الأفريقي شهدت الستينيات غليانا وطنيا فى كل دول القارة بداية بحرب التحرير فى الجزائر الى ثورة السود ضد التفرقة العنصرية فى جنوب أفريقيا وارتبطت بولادة (جبهة الصمود و التصدى) من الشام الى اليمن ومن المحيط الى الخليج وذلك كاحد تداعيات انتصار حرب السويس والتي اشعلت فتيل التحرير فى كل اطراف القارة السمراء وزعزعت تحالفات الاستعمار الغربى بعد معارضة امريكا للعدوان الثلاثى بقيادة بريطانيا و فرنسا واسرائيل عام 1956 و قبل ان تتسلح الدول العربية بالنفط و تستقوى بقيام منظومة الكتلة الخليجيه فى حرب العبور ولكن وجود منظمة دول عدم الانحياز كانت قد رسمت الحدود الفاصلة فى مفهوم سيادة الدول بقيادة عبد الناصر فى مصر و سوكارنو فى اندونيسيا و نهرو فى الهند و المارشال تيتو فى يوغسلافيا وأحمد سيكتورى فى غينيا و كوامى نكروما فى غانا و الزعيم الازهرى فى السودان

وبين نضال جومو كنياتا فى كينيا وثورا المقاومة فى روديسيا الشمالية ضد حكم (إيان سميث) وقف السودان الصوت الذى لا يعلى عليه فى تنظيم الادوار بين الاطراف مستلهما قوة مصر فى قيادة المنظمة و كان (مؤتمر باندونج) محطه فاصله فى تحديد موقع السودان فى الخريطة الجيوسياسيه واصبح الرقم الذى لا يمكن القفز فوقه فى صناعة القرار فى منظمة الوحدة الافريقية فى زمان لم تعرف فيه الزعامات الافريقية ذل الانكسار

وقد تميزت هذه المرحلة باكبر قدر من التضامن بين منظمة دول عدم الانحياز ومنظمة الوحدة الافريقية ..الوحد العربية الافريقية التى جعلت غالبية الدول الافريقية تتبرأ من أى علاقة دبلوماسية مع اسرائيل وتشيد بقرارات الشجب و الادانه التى أصبحت أثرا بعد عين والتي تصدر من مجلس الامن و الامم المتحدة ضد خروقاتها المتعدده

واذكر اننى سافرت فى عام 1986 الى بيروت (لدار الثقافة) لطباعة ديوانى الأول (الضياء والحريق) فى زمان مقولته (القاهرة تكتب و بيروت تطبع و الخرطوم تقرأ) والتقيت بالأخ الصديق والشاعر الرقيق السر دوليب الذى كان يحضر للماجستير فى علم النفس فى الجامعة الامريكية ببيروت والمفكر السياسى الاستاذ فرانسيس دينق خريج جامعة الخرطوم وقال لى..لقد اشتهر الشاعر الفيتورى فى الأوساط الأدبية فى لبنان بشاعر افريقيا وأرى ان معظم شعرك فى القضية العربية فهل نحن عرب أم أفارقه؟ فقلت له ان الشاعر الفيتورى يعيش فى قلب الأمة العربية ويكتب لأفريقيا وانا سافرت الى أرض فلسطين بدعوة لأرى بعينى وكتبت ما رأيت..قال لى اننى أمزح معك فلا تغضب.قلت له: ان منظمة الوحدة الافريقية تضم عربا و افارقه! فهل هى عربيه أم أفريقيه؟.انهما الاثنان معا..

والحق كذلك فقد شهدت الخرطوم المؤتمر التاريخى و (لاءآت الخرطوم الثلاث) والتي رفعت استحقاقات القضية العربية الى اعلى سقف يصعب التنازل عنه او النزول منه فاصبحت الخرطوم الرقم الذى لا يمكن القفز فوقه واصبحت جسر العبور بين شمال وجنوب الصحراء وحققت الخرطوم المصالحة التاريخية بين الزعيمين العربيين الكبيريين الملك فيصل بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية والرئيس المصرى جمال عبد الناصر على يد المهنس السياسى البارع والدبلوماسى الموسوعى قطب حزب الأمة الراحل محمد أحمد محجوب وزير خارجية السودان آنذاك..

والان بعد هذا النسيج الدقيق و التلاحم العميق أين جبهة الصمود و التصدى؟ وأين منظمة دول عدم الانحياز؟ وأين منظمة الوحدة الفريقية؟ وأمل ان يكون فى هذا الحديث تحريضا للصديق الدكتور دقش خبير المنظمه ان يكتب عن الماضى و الحاضر فى هذا السياق ..فقد وجدت من الصعوبة (لممة) الشتات والفتات من تغيير الاسماء وتعدد الزعماء وكثرة السدود وتعدد الحدود.

وبما ان السودان يمثل قلب القارة فى المساحة الجغرافية والخريطة الجيوسياسيه فان العالم ينظر الى التغيير المأمول فى مستقبل القارة من خلال الفسيفساء الموجودة فى ارض السودان

واذكر فى مؤتمر صحفى عالمى عقده الرئيس جمال عبد الناصر بعد ان رفضت امريكا تمويل السد العالى وبعد محادثات مياه النيل قال (اننا يجب الانخطف فى حساباتنا مع السودان فهو العمق الحقيقى و الاستراتيجى للأمن القومى المصرى) فقال له احد الصحافيين: هذا فى موضوع المياه؟ قال : هذا من أجل مصر..ان أى خطر يهدد حدود السودان يكشف ظهرنا الى واقع البحر امامكم والعدو وراءكم..هذه الجغرافيا والتاريخ)

هذه شهادة على العصر من زعيم كان يصنع الاحداث ولا تصنعه الاحداث..فلت صناع القرار داخل و خارج السودان يعيدون قراءة التاريخ والجغرافيا ويقدرّون حقيقة ما يحاك للسودان للوصول الى اخراف القارة الممتدة وعمق مصر المستهدفة فى الخطة البعيدة المدى فى مسلسل التقسيم و التهجير الداخلى و ترسيم الحدود واعادة تشكيل الشرق الاوسط الكبير فى حرب المياه القادمة والتي بدأت منذ ان فكرت اسرائيل فى تحويل مجرى النيل ودخلت الصراع مع (عيدى أمين) الزعيم الظاهرة فى أوغندا و الذى اتهم فى عقلانيته ووضح ان حتى العقلانيه مرتبطه بالمصالح.(كن تابعا لتكون عاقلا)

يخطئ كثيرا فى حق الوغى من يتصور أو يصور ما يدور فى السودان بعيدا عن هذا السياق مع الاحتفاظ بضرورة النظر فى اصلاح الوضع القائم فى الاخير العام للصراع والذى لن يرضى بديلا له لما حدث ويحدث فى العراق و الصومال على اقل تقدير ولنتذكر ان الذين كانوا يطلقون نفس المحاذير عن العراق و الصومال قبل الاحتلال ما زالوا (يؤذنون فى مالطا!)..حتى وان اتضح انه لا توجد أسلحة دمار شامل أو خلايا ارهاب أو تطهير عرقى أو خرق لحقوق الانسان فان هناك أسبابا اخرى كافية فى أجندة الذين يستهدفون (وحدة المصير) فى السودان. ويكفى ان نرى اليوم اعصار الازمة المالية الأمريكية يكشف الراسمالية العالمية تترنح فى حلبة الملاكمة ويخرج ساكن البيت الابيض بعد ان دخل بالعالم الى حافة الهاويه بالضربة القاضية..والله أعلم!؟